توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

قصيدة الإمام ابن القيم

الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

تأليف

أحمد بن ابراهيم بن عيسى

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

٢١٤
ع٠٢ ف

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد

في شرح

قصيدة الإمام ابن القيم

الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

٢١٤
ع٠٢ ف

تأليف

أحمد بن إبراهيم بن عيسى

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
30120000203768
المكتبة المركزية

الجزء الأول

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فهذا كتاب

«شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»

للشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى[1]. يظهر إلى عالم المطبوعات لأول مرة في زمن ضلت فيه العقول، وتحكمت الأهواء، واختلت المقاييس، وبعُد الناس عن النمير الصافي، والسلسل العذب الذي هو كتاب الله وسنة رسوله، وأصبح المؤمنون بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويبصرهم الجادة المستقيمة والمنهج الصحيح الذي كان عليه السلف الصالح.

ولعل هذا الكتاب يفي بالغرض المقصود ويسد هذا الفراغ ويبصر الناس بالصراط السوي.

وموضوع الكتاب كله ـ كما ذكر الشارح رحمه الله ـ المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات الباري سبحانه وتعالى رغم كل مخالف. وطريقته أنه يسرد الأبيات التي تتعلق بموضوع معين، ثم يشرحها بأدلة من الكتاب والسنة،

(١) انظر ترجمته الصفحة (١٧).

وأقوال أهل السنة والجماعة، وآراء الأئمة في إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، ويرد على المخالفين من أهل البدع والضلالة كالاتحادية، والجهمية، والمعطلة الذين تأثروا بعقيدة المتفلسفين وأهل الكلام المذموم، ويدعم عقيدة أهل التوحيد من سلف الأمة وكبار الأئمة الذين هم وسط بين الافراط والتفريط والغلو والتقصير.

وكل عَلَمَ يذكره ابن القيم في قصيدته يترجمه الشارح ويذكر عقيدته ومؤلفاته وكلام العلماء الأثبات فيه. فيحذر من الاتحاديين - أهل وحدة الوجود- والجهميين، والمعطلين، ويثني على العلماء من أهل السنة والجماعة الذين ثبتوا على العقيدة الصحيحة بالرغم مما لاقوا في سبيلها من المحن والابتلاء، كالامام أحمد بن حنبل، والامام محمد بن اسماعيل البخاري صاحب «الصحيح» والشارح ينقل في هذا الكتاب عن العلماء الأثبات الموثوقين، وأكثر ما ينقل من كتب الناظم العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، كـ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» و«إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان» و«بدائع الفوائد» و «جلاء الأفهام» و«مدارج السالكين في شرح منازل السائرين» وغيرها.

وكذلك ينقل من كتب شيخ الناظم، شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كـ «الايمان» و «منهاج السنة النبوية» و «العقل والنقل» و «الفرقان» و «شرح حديث النزول» و«شرح عقيدة الاصبهاني» وغيرها.

وكذلك ينقل عن غير هذين الامامين من العلماء الأعلام مثل الفقيه الكبير، موفق الدين ابن قدامة المقدسي، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ السخاوي وغيرهم.

وفي ترجمته للرجال أكثر ما ينقل عن «تاريخ الطبري» و «الميزان» و «تاريخ الاسلام» للذهبي.

وقد سرد الشارح رحمه الله في كتابه هذا، أقوال العلماء الأعلام الذين

ردوا على الاتحاديين، كالعز ابن عبد السلام، والقسطلاني، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي وغيرهم، وكلهم على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله.

وقد تعرَّض الشارح لمسألتين خطيرتين جالت فيهما أقلام العلماء الأعلام.

أولاهما: خبر الآحاد: هل يفيد العلم، أو لا؟ وقد نقل عن كتاب «الصواعق المرسلة» لابن القيم عشرين دليلاً قوياً بأسلوب واضح جلي، أثبت فيها أن خبر الآحاد يفيد العلم.

وثانيهما: اثبات الفوقية لله تعالى، وقد سرد أكثر من عشرين فصلاً لاثبات الفوقية لله تعالى من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما هي عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفي هذه الفصول آيات وأحاديث وأقوال للسلف الصالح تتعلق بالموضوع.

هذا وقد اعتمدنا في طبعتنا هذه على نسخة خطية يقول عنها أستاذنا ابن مانع: إنها نقلت عن خط المؤلف رحمه الله، وهي مقروءة لا بأس بها، إلا أن فيها أخطاء غير قليلة، وبياضاً في عدة أماكن، مما اضطرنا إلى الرجوع في الغالب إلى المصادر التي أخذ عنها الشارح ونقل منها.

ولم نأل جهداً في تصحيح الأخطاء، واستدراك النقص، وإثبات الصواب، وتخريج كثير من الأحاديث، وخاصة ما سكت عنه الشارح، أو أورده وحسنه وكان لعلماء الحديث فيه كلام، وشرح الكلمات اللغوية الغامضة، والتعليق على ما يظن أن الشارح قد وهم فيه.

وما كان على هامش النسخة من تعليقات أستاذنا ابن مانع فقد أثبتناه مذيلاً بذكر اسمه صريحاً.

وقد كان في النظم بعض الأخطاء استدركناها من نسخة خطية ثانية قدمها لنا أستاذنا الشيخ محمد بن مانع جزاه الله خيراً.

ثم يسر الله لي الرجوع الى أكثر من مخطوط كما قمت بطبع عدد من الكتب الأخرى المتعلق بالموضوع

وكان الذي شجع على طبعه للمرة الأولى العالم الجليل الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر رحمه الله تعالى.

وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق/ ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ.

/ ٢٤ ايلول سنة ١٩٦٢م.

زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الناظم العلامة ابن القيم[1]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذه ترجمة الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر البحر؛ شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصرة الدين، الذي نصر الله به السنة، وعظمت به المنة، فأعاد وجه الحق مبتهجاً وسيماً، وطريق الإسلام واضحاً مستقيماً، بعدما كان عابساً ودارساً ومظلماً وطامساً ـ شمس الدين أبي عبدالله، محمد بن أبي بكر بن القيم رحمه الله تعالى، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء، وجعل نصيبه من الجنان موفر الأجزاء، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

فصل في ذكر نسبه

هو العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف شمس الدين أبو عبدالله ابن

(١) لعالم لم يذكر اسمه نقلها عن مخطوطة قديمة أستاذنا العلامة الشيخ محمد بن مانع.

القيم، كذا قال ابن رجب في «طبقاته» ونقله عنه الدراوردي في «طبقات المفسرين».

فصل في مولده وطلبه للعلم

ولد رحمه الله في سابع صفر من سنة إحدى وسبعين وستمائة، كذا قال الدراوردي، وسمع من شهاب الدين النابلسي، وأبي الحجاج المزي، والشهاب العابد، والقاضي تقي الدين سليمان بن حمزة، وأبي بكر بن عبد الدائم، وأبي نصر الشيرازي، وعيسى المطعم، وفاطمة بنت جوهر، وجماعة، وتفقه في المذهب على أبي العباس ابن تيمية، والمجد الحراني[1] وبرع وأفتى، ولازم الشيخ أبا العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى، وأخذ عنه، وانتفع وتخرج به، وتفنن في علوم الإسلام، وقرأ العربية على أبي الفتح، والمجد التونسي، وقرأ في الأصول على شيخ الإسلام ابن تيمية، والصفي الهندي.

فصل في ثناء العلماء عليه

قال ابن رجب: كان عالماً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه، وبفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام، وغير ذلك، وعالم بعلم السلوك، وكلام أهل التصرف، وإشاراتهم، ودقائقهم. له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى، وكان ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وله لهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة

(١) لعله خطأ، لأن ابن القيم لم يدرك المجد الحراني، فإن المجد وهو جد شيخ الاسلام ابن تيمية توفي سنة (٦٥٢) بينما ابن القيم ولد سنة (٦٩١) - زهير -

وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، لكن لم أَرَ في معناه مثله. قلت: الأمر كما قال الشيخ زين الدين بن رجب رحمه الله، فلا أعلم بعد الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى أعلم منه في سائر الطوائف، وهذه آثاره تنبيك عن أخباره، فمن نظر في تصانيفه بعين الأنصاف علم مقداره، وأنه أعلم أهل زمانه.

وقال القاضي برهان الدين الزرعي رحمه الله: ما تحت أديم السماء أوسع منه علماً.

وقال الذهبي في «المختصر»: عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين. وقد حبس مدة لانكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدر للاشتغال ونشر العلم.

وقال ابن رجب: قد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه إلى ما بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه. ولازمت[1] مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته الطويلة في السنة[2]، وأشياء من تصانيفه، وغيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه، وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له. كابن عبد الهادي وغيره.

(وقال القاضي برهان الدين): ودرس بالصدرية، وأمّ بالجوزية مدة طويلة، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة.

(١) القائل ابن رجب الحنبلي.

(٢) وهي «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم، وكان شديد المحبة للعلم، وكتابته، ومطالعته، وتصنيفه، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: كان ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً، كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق، كثير التودد، لا يحسد ولا يحقد، ثم قال: لا أعرف في زماننا أكثر عبادة منه، فكان يطيل الصلاة جداً، ويمد ركوعها وسجودها... إلى أن قال: وكان يقصد للافتاء بمسألة الطلاق، حتى جرى له بسببها ما يطول بسطه مع ابن السبكي وغيره، وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غذاي لو لم أقعدها سقطت قواي.

قلت: وهذا أيضاً مذكور عن شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. وكان يجمع الكتب كثيراً حتى كان أولاده يبيعون بعد موته منها دهراً طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.

وقال ابن حجر[1]: كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف، ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه، وكان له حظ عند الامراء المصريين، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أُهين، وطيف به على (جمل) مضروباً بالدرة، فلما مات أفرج عنه، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية، وكان ينال من علماء عصره، وينالون منه، كذا قال[1]. فأما قوله[1]: وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، فانهما رحمهما الله كانا إمامين مجتهدين مطلقين، فكثيراً ما يتوافقان في الاجتهاد من غير أن يقصد مجرد الإنتصار لابن تيمية رحمه الله، لوضوح النص عندهما في ذلك، فرحمة الله عليهما. وقال:

---

(١) أي ابن حجر الهيتمي.

وجرت له محن مع القضاة منها في ربيع الأول طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل، وآل الأمر إلى أن رجع عما كان يفتي فيه في ذلك.

وقال السخاوي رحمه الله: العلامة الحجة، المتقدم في سعة العلم، ومعرفة الخلاف، وقوة الجنان، رئيس أصحاب ابن تيمية، بل هو حسنة من حسناته، والمجمع عليه بين المخالف والموالف، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمة، انتفع به الأئمة، ودرس بأماكن.

فصل في ذكر تصانيفه

قد صنَّف رحمه الله تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم. وكان شديد المحبة للعلم، فمن تصانيفه كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» أربع مجلدات، وهو كتاب عديم النظير، وكتاب «زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء» مجلد، كتاب «تهذيب سنن أبي داود» وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة، كتاب «مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»[1] مجلدان، وهو كتاب جليل القدر، كتاب «عقد محكم الأحباء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء» مجلد ضخم، كتاب «شرح أسماء الكتاب العزيز» مجلد ضخم، كتاب «جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام» وبيان حديثها وعللها مجلد، كتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» كتاب «التعليق على الأحكام» كتاب «بيان الدليل على استغناء المسابقة على التحليل» كتاب «نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول» مجلد، كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» مجلد، كتاب «الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة» كتاب «اعلام الموقعين عن رب العالمين» ثلاث مجلدات، وهو كتاب عظيم النفع، كتاب «بدائع الفوائد» غالبها مسائل نحوية، وهو كتاب عجيب، كتاب «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجيه» وهو القصيدة النونية، كتاب «إغاثة اللهفان في مكائد الشيطان» وهو

(١) وهو المعروف بـ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد واياك نستعين».

كتاب عجيب بديع، كتاب «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» كتاب «تحفة الودود في أحكام المولود» مجلد، كتاب «نزهة المشتاقين وروضة المحبين» مجلد، كتاب «الصلاة» مجلد، كتاب «رفع اليدين في الصلاة» مجلد، كتاب «الداء والدواء» مجلد، كتاب «مفتاح دار السعادة» مجلد ضخم، كتاب «اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية» كتاب «نكاح المحرم» مجلد، كتاب «تفضيل مكة على المدينة» مجلد، كتاب «الكبائر» مجلد، كتاب «حكم تارك الصلاة» مجلد، كتاب «نور المؤمن وحياته» مجلد «جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان» كتاب «بطلان الكيماء من أربعين وجهاً» كتاب «حكم إغمام هلال رمضان» كتاب «التحريم فيما يحل ويحرم من لباس الحرير» كتاب «الفرق بين الخلة والمحبة» ومناظرة الخليل لقومه، مجلد «الوابل الصيب في الكلم الطيب» مجلد لطيف، كتاب «التحفة المكية» كتاب «الفتح القدسي» كتاب «شرح الأسماء الحسنى» كتاب «أمثال القرآن» كتاب «أقسام القرآن» مجلد، كتاب «الطاعون» مجلد لطيف، كتاب «الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم» مجلدان كتاب «المسائل الطرابلسية» ثلاث مجلدات، كتاب «القدر» مجلد، كتاب «الطرق الحكمية» مجلد «تفسير الفاتحة» «الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية» «معاني الأدوات والحروف» هذا ما ذكر ابن رجب، وابن حجر، والسيوطي، وزدت غير ذلك، وله رحمه الله تصانيف أخر غير ما ذكروا.

وله رحمه الله نظم كثير، فمن ذلك قوله:

بني أبي بكر كثير ذنوبه ... فليس على ما نال من عرضه إثم

بني أبي بكر غدا متصدراً ... يعلم علماً وهو ليس له علم

بني أبي بكر جهول بنفسه ... جهول بأمر الله أنى له العلم

بني أبي بكر يروم ترقياً ... إلى جنة المأوى وليس له عزم

بني أبي بكر لقد خاب سعيه ... إذا لم يكن في الصالحات له سهم

بني أبي بكر كما قال ربه ... هلوع كنود وصفه الجهل والظلم

بني أبي بكر وأمثاله غدت بفتواهم هذي الخليقة تأتم
وليس لهم في العلم باع ولا التقى ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهم
بني أبي بكر يرى الغنم في الذي يزول ويفنى والذي تركه غنم
بني أبي بكر غدا متمنياً وصال المعالي والذنوب له هم

وأنشد رحمه الله في «شرح المنازل»[1] والظاهر أنها له رحمة الله عليه تعالى ورضوانه.

فيا حسرات ما إلى رد مثلها سبيل ولو ردت لهان التحسر
هي الشهوات اللائي كانت تحولت إلى حسرات حين عز التصبر
فلو أنها ردت بصبر وقوة تحولت اللذات وذو اللب يبصر

وقال أيضاً:

لولا التعلل بالرجا لتعطلت نفس المحب صبابة وتشوقا
ولقد يكاد يذهب منه قلبه مما يقاسي حسرة وتحرقا
حتى إذا روح الرجاء أصابه سكن الحريق إذا تعلل باللقا

وقال أيضاً:

فما كل عين بالحبيب قريرة ولا كل من نودي يجيب المناديا
ومن لا يجب داعي هداك فخله يجب كل من أضحى إلى الغي داعيا
وقل للعيون العشي إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام الليالیا
وسامح نفوساً لم تحبها لحبهم ودعها وما اختارت ولا تك جافيا
وقل للذي قد غاب يكفي عقوبة مغيبك عن ذا الشأن لو كنت داعيا
ووالله لو أضحى نصيبك وافراً رجمت عدواً حاسداً لك قاليا
فيا محنة الحسناء تهدى إلى امرىء ضرير وعنين من الوجد خاليا
إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها تعود لعينيه ظلام كما هيا

(١) هو منازل السائرين «ومتنه للامام الهروي».

فضن بها أن كنت تعرف قدرها ... إلى أن ترى كفءاً أتاك مواتيا
وأدلج ولا تخش الظلام فانه ... سيكفيك وجه الحب في الليل هاديا
وعدها بروح الوصل تعطيك سيرها ... كما شئت واستبق العظام البواليا
وأقدم فاما منية أو منيه ... تريحك من عيش به لست راضيا
فما ثم إلا الوصل أو تلف بها ... وحسبك فوزاً ذاك أن كنت واعيا
أما سئمت من عيشها نفس واله ... تبيت بنار البعد تلقى المكاويا
أما موته فيهم حياة وذلة ... هو العز والتوفيق ما زال غاليا

وله رحمه الله من قصيدة

يا راميا بسهام اللحظ مجتهداً ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له ... توقه إنه يرتد بالعطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ... فهل سمعت ببرء جاء من عطب
وواهباً عمره في مثل ذا سفهاً ... لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
غبنت والله غبناً فاحشاً فلو اسـ ... ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ... ورسل ربك قد وافتك في الطلب
وأسر في غمرات الليل مهتدياً ... بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخي جبن ومعجزة ... وحارب النفس لا تلقيك في الحرب
وخذ لنفسك نوراً تستضيء به ... يوم اقتسام (ضيا) الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس تقطعه ... إلا بنور ينجيّ العبد من كرب

وله رحمه الله غير ذلك.

فصل في ذكر وفاته رحمة الله تعالى عليه ورضوانه.

توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة، وصلي عليه من الغد بالجامع (الأموي)

عقب الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة باب الصغير[١]، وشيعه خلق كثير، ورويت له منامات حسنة كثيرة رضي الله عنه. وكان قد رأى قبل موته شيخه الشيخ تقي الدين رحمه الله في النوم، فسأله عن منزلته، فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله، وهذا ما تيسر جمعه من ترجمة هذا الحبر الإمام، أحد أئمة الاسلام، ومصابيح الظلام، وأتباع خاتم الرسل الكرام، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

(١١) وقبره على يسار الداخل للمقبرة من بابها الأول تجاه المدرسة الصابونية. وقد أدخل مقدار ثلاثة أمتار في التوسعة الأخيرة للباب.

ترجمة الشارح

بقلم العلامة الشيخ محمد بن مانع

هو الشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى، من أهالي شقر من بلاد الوشم. ولد هناك، وتلقى العلم عن أكابر مشايخ عصره، كالعلامة الشيخ عبد الرحمن ابن حسن، وابنه الشيخ عبد اللطيف، والشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبي بطين، وغيرهم، ثم إنه ارتحل إلى الحجاز وسكن مكة المكرمة، وجعل يتعاطى التجارة بين جدة ومكة، واتصل بالشيخ عبد القادر التلمساني، وقد كان أشعرياً، فما زال يناظره حتى التحق بمذهب أهل السنة، ودخل فيه على علم ومعرفة وبصيرة، وصار داعياً إلى مذهب السلف، وممن استجاب لدعوة التلمساني السلفي الشهير الشيخ محمد نصيف العالم المشهور، ولم يزل هذان الرجلان يدعوان إلى مذهب أهل الحق، ويردان على أهل الباطل، حتى انتشر بهما مذهب أهل السنة، وقد طبعا عدة كتب في ذلك، ولما كانت قصيدة الإمام ابن القيم من أجمع كتب أهل السنة والجماعة في بيان الأقوال والمذاهب في النحل والعقائد، وتأييد مذهب السلف الصالح والرد على أهل المذاهب الباطلة، ولكنها لطولها وغزارة علمها لم يسبق لها شرح يفيد المطلعين عليها، وقد كتب أحد علماء نجد إلى العلامة الشيخ صديق لعله يشرحها، ولكنه لم يفعل، وقد تصدى لشرحها العلامة الشيخ أحمد بن عيسى بشرح بيّن فيه مقاصدها، ووضح فيه قواعدها، وله غيره من المؤلفات، مما هو معروف مشهور، وقد اتصل بالشريف عون الرفيق، وصارت له عنده كلمة مسموعة، لذلك أشار عليه بهدم القبور المبنية على معصية الله، فهدمت بمكة، وجدة،

والطائف، ولم يزل على سيرته السلفية، وطريقته المحمدية إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٩هـ بالمجمعة، وكنت إذ ذاك في عنيزة، وصلينا عليه بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

شرح

قصيدة الإمام ابن القيّم

والطائف، ولم يزل على سيرته السلفية، وطريقته المحمدية إلى أن توفاه الله سنة ١٣٢٩هـ بالمجمعة، وكنت إذ ذاك في عنيزة، وصلينا عليه بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رب يسر وأعن ياكريم

حمداً لك اللهم على ما منحت من الإلهام ، وفتحت من الأفهام ، وأزحت من الشكوك والأوهام ، ولطفت بنا في ركوب أعناق الكلام عن موجبات التوبيخ والملام ، وأوردتنا من مناهل كتابك الهدى وسنة رسولك المصطفى منهلا يشفي الأوام ويبرىء العلل والأسقام ، وأوضحت لنا في ظلمات الفلسفة نوراً نستضيء به في حنادس ذلك الظلام ، وحفظتنا من خيالات المتصوفة ، وشطحاتهم الفظيعة ودعاويهم الطويلة العريضة التي هي كسراب بقيعة ، فعياذاً بك اللهم من تلك المقالات ، ولياذاً بك يامن لانأمن تلك الضلالات التي هي رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، شهادة يمسي بها العمل الصالح مرفوعاً ، ويضحي بها الزلل الفاضح موضوعاً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى الحق هادياً ، وبشيراً ، ونزل عليه الفرقان ، ليكون للعالمين نذيراً . فهداهم به إلى الحق ، وهم في ضلال مبين ، وسلك بهم مسلك الهداية حتى أتاهم اليقين ، ﷺ وعلى آله البررة ، وصحبه الخيره ، مصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم ، وخلفاء الدين ، وحلفاء اليقين ، الذين بلغوا من محاسن الفضائل الغاية ، ووصلوا من مكارم الفواضل نهاية النهاية ، وعلى من تبعهم بإحسان ، صلاة وسلاماً دائمين ماتناوب النيران ، وتعاقب الملوان[1] .

وبعد فإن المنظومة المشهورة في الطريقه السنية ، والعقيدة الحنيفية ،

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

المسماة بـ « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية » لم ينسج ناسج على منوالها ، ولم تسمح الدهور بشكلها وامثالها ، نظم الشيخ الإمام ، والعمدة القدوة الهمام ، شيخ الإسلام والمسلمين ، القائم ببيان الحق ، ونصر الدين ، العابد الناسك ، الورع الزاهد ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بـ: ابن قيم الجوزية ، أسكنه الله الغرف العلية ، ولكنها من عهد مؤلفها ، وهي عروس لم يمط لثامها ، وخود بكر لم يفتض ختامها ، وليس يخفى ما تضمنته من أصول الفصول ، واشتملت عليه من قواعد العقائد التي هي الحاصل والمحصول ، واحتوت عليه من الرد على أهل البدع والضلالة ، والاقوال الباطلة المحالة ، والمحدثات المضلة المخذولة ، والحزعبيلات المرذولة ، كالوجودية والجهمية ، والمعتزلة والرافضة ، والحرورية والكلابية ، والمرجئة والمجبرة ، وغيرهم من هل الضلالات ، والاقوال المحالات ، وقمع أباطيلهم ، وردع أضاليلهم بالحجج الظاهرة ، والبراهين الباهرة من صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

وموضوعها : المحاكمة بين الطوائف ، واثبات صفات الباري سبحانه على رغم كل مخالف ، ولما كنت قد نبغت في هذه الفنون قديماً ، وصبغت بها أديماً ، وكنت للكتب وأرباب العلوم سميراً ونديماً ، وبرعت في تلك العلوم ، وكرعت من رحيقها المختوم ؛ عنّ لي أن أضع عليها شرحاً ، يفتح مغلقها ، ويقيد مطلقها ، ويكحل جفونها ، ويسهل حزونها ، وذلك مع تراكم الاشغال ، وتبلبل الافكار والبال ، وعدم معين في هـــذه الأمور الثقال ، ونزارة من يستدل به في مثل هذه المطالب العالية التي تقصر فيها الخطا ، ويتيه في مطاويها القطا ، وعدم شرح لها يستضاء بنبراسه في دياجي المشكلات ، ويبنى على أساسه في الأمور المعضلات . ومع ذلك فإن تحرير هذا الشرح في حال غيبتي عن كتبي التي هي رأس مالي وعيبتي إلا أن الله

سبحانه بفضله أعان ، وأمد بأسباب لم تخطر على الأذهان [١] .

فدونك شرحا يشرح الصدور ، وتضيء من غضونه شموس وبدور ، وتتحلى بجواهره اللبات والنحور ، فهو كتاب جمع فأوعى ، وحوى من كل شيء جنساً ونوعاً ، ومع ذلك لم أوثر الإطالة خوفاً من السآمة والملالة ، وهـــذا حـين الشروع في المقصود مستعيناً بالملك المعبود فأقول وبالله أحول وأصول .

فصل في ترجمة النّاظم

في ذكر ترجمة الناظم رحمه الله تعالى : هو العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ثم الدمشقي ، الفقيه المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بـ: ابن قيم الجوزية . قال في «الشذرات» بل هو المجتهد المطلق . قال الحافظ ابن رجب في « طبقات الحنابلة » في ترجمته : ولد شيخنا سنة ٦٩١ ، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ عنه ، وتفنن في كافة علوم الإسلام ، وكان عارفاً في التفسير لايجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه المنتهى فيها ، وبالحديث ومعانيـــه وفقهه ودقائق الاستنباط منه ، لا يلحق في ذلك ، وبالفقه والأصول والعربية ، وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف ، وحبس مدة لإنكار شد الرحيل إلى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد ، وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، لم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخه شيخ

---

(١) قال استاذنا ابن مانع : هذا تعديل لنفسه وتزكية لها سبقه إلى نفس هذا اللفظ صاحب « القاموس »

الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والخوض في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك ، وحج مرات كثيرة ، وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة ، وأشياء من تصانيفه غيرها وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات ، وانتفعوا به . قال القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه [1]. ودرس بالصدرية ، وأم بالجوزية ، وكتب بخطه مالا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جداً في انواع العلوم ، وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها ، سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، فبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث ، والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات ، فأخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً و كثرة الصلوات والابتهال . وكان حسن القراءة والخلق مع كثرة التودد ، لا يحسد أحداً ، ولا يؤذيه ولا يستغيبه ، ولا يحقد على أحد ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، و كتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره ، تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة فقد كان قليل النظير بل عديم النظير ، في مجموعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه

---

(١) الظاهر أن هذا من الغلو الذي لايرضى به ابن القيم . « ابن مانع »

الخير ، والأخلاق الصالحة ، وكان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وجرت له بسببها فصول يطول شرحها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره . وقد كانت جنازته حافلة ، وشهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى . وقال : غيره في ترجمته ولد في سنة ٦٩١ ، وسمع على جماعة كثيرين مثل سليمان ابن حمزة الحاكم ، وابي بكر ابن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وأبي نصر محمد بن كمال الدين الشيرازي وابن مكتوم والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلي ، ثم قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من «المغرب» .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ اسماعيل بن محمد الحراني قرأ عليه « مختصر » أبي القاسم الخرقي « والمقنع » لابن قدامة ومنهم ابن أبي الفتح البعلي ، ومنهم الشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية قرأ عليه قطعة من « المحرر » تأليف جده وأخوه الشيخ شرف الدين ، وأخذ الفرائض أولاً عن والده ، ثم على الشيخ تقي الدين بن تيمية .

وأما الأصول فأخذها عن جماعة منهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واسماعيل بن محمد قرأ عليه أكثر « الروضة » لابن قدامة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية قرأ عليه قطعة من «المحصول» ومن كتاب « الإحكام » للسيف الآمدي . وقرأ أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي مثل « الأربعين » و «المحصل» وقرأ على شيخ الاسلام ابن تيمية كثيراً من تصانيفه ، واشتغل كثيراً ، وناظر واجتهد ، وأكب على الطلب وصنف ، وصار من الأئمة الكبار في علم التفسير والحديث والأصول فقهاً وكلاماً والفروع ، ولم يخلف الشيخ تقي الدين بن تيمية مثله .

ومن مصنفاته: «تهذيب سنن ابي داود» وايضاح مشكلاته، والكلام على مافيه من الاحاديث المعلولة مجلد. كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم. كتاب « مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين[1] » مجلدان وهو شرح « منازل السائرين » لشيخ الاسلام الأنصاري كتاب جليل القدر. كتاب «عقد محكم الإخاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » مجلد ضخم. كتاب « شرح اسماء الكتاب العزيز» مجلد. كتاب « زاد المسافرين الى منازل السعداء في هدي خاتم الانبياء » كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » أربع مجلدات وهو كتاب عظيم جداً. كتاب « جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الانام » وبيان أحاديثها وعللها مجلد كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » كتاب « نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول » مجلد. كتاب « اعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات. كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان «الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي القصيدة النونية في السنة مجلد. كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة » في مجلدات. كتاب « حادي الأرواح الى بلاد الافراح » وهو كتاب صفة الجنة مجلد كتاب « نزهة المشتاقين وروضة المحبين » مجلد كتاب « الداء والدواء » مجلد. كتاب « تحفة المودود في احكام المولود » مجلد. كتاب « مفتاح دار السعادة » مجلد ضخم. كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » مجلد « رفع اليدين في الصلاة » مجلد « نكاح المحرم » مجلد « تفضيل مكة على المدينة » مجلد « فضل العلم » مجلد « عدة الصابرين » مجلد كتاب « الكبائر » مجلد « حكم تارك الصلاة » مجلد. كتاب « نور المؤمن ومعيشته » مجلد كتاب « إغمام هلال رمضان » « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » « جوابات عابدي الصلبان وأن ماهم عليه من دين

---

(١) المشهور بين العلماء أن اسمه « مدارج السالكين ».

الشيطان» « بطلان الكيمياء من اربعين وجهاً » مجلد « الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » مجلد « الكلم الطيب والعمل الصالح » مجلد لطيف « الفتح القدسي » «التحفة المكية » كتاب « امثال القرآن» «شرح الأسماء الحسنى » « أيمان القرآن » «المسائل الطرابلسية » ثلاث مجلدات « الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم » مجلدان . كتاب « الطاعون» مجلد لطيف . توفي رحمه الله تعالى وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، وصلي عليه من الغد بالجامع عقب الظهر ، ثم بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وشيعه خلق كثير ، ورويت له منامات كثيرة حسنة رضي الله عنه . وكان قد رئى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى في النوم ، وسأله عن منزلته فاشار الى علوها فوق بعض الأكابر ، ثم قال : وانت كدت تلحق بنا ، ولكن انت الآن في طبقة ابن خزيمة .

ثم قال ابن رجب : قرىء على شيخنا الامام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب وانا أسمع هذه القصيدة من نظمه في أول كتاب صفة الجنة وذكر بعض الميمية المشهورة . وقال الحافظ السخاوي في حقه : العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ، ومعرفة الخلاف ، وقوة الجنان ، المجمع عليه بين الموافق والمخالف ، وصاحب التصانيف السائرة ، والمحاسن الجمة .

قوله بسم الله الرحمن الرحيم:

ابتدأ الناظم رحمه الله تعالى بـ« بسم اللهالرحمن الرحيم » اقتداء بالكتاب العزيز وتأسيا بالنبي ، ﷺ ؛ في مكاتباته للملوك وغيرهم . وامتثالا لقوله ﷺ « كل أمر ذي بال لايبدأ فيه بـ : بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » رواه عبد القادر الرهاوي في « الاربعين البلدانية » و كذا الخطيب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه [١]. ومعنى ذي بال ، أي : حال شريف يحتفل له ، ويهتم به ، وبين يدي كل الامور المهمة ،

وقوله : اقطع أي: ناقص البركة ، وقد يكون غير معتد به وروى أبو داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ، « كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم »اسناده صحيح[٢] .

تنبيه : اختلف العلماء فيما اذا كان الكتاب كله شعرا فجاء عن الشعبي رحمه الله منع ذلك ، وعن الزهري رحمه الله قال : مضت السنة أن لايكتب في الشعر «بسم الله الرحمن الرحيم» وعن سعيد بن جبير رحمه الله : جواز ذلك ، وتابعه على ذلك الجمهور .

---

(١) قال النووي في « الاذكار» بعد سياق هذا الحديث روينا هذه الالفاظ في الاربعين للرهاوي وهو حديث حسن وقد روي موصولا ومرسلا ،قال: ورواية الموصول جيدة الاسناد.

(٢) قال السندي : قد حسن هذا الحديث ابن الصلاح والنووي وقال ابن حجر: اختلف في وصله وارساله ورجح الدارقطني ارساله . واخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان . ورجال اسناده ثقات سوى قرة بن عبد الرحمن فان الحافظ قال عنه في «التقريب» : صدوق له مناكير .

وقال الخطيب : وهو المختار انتهى . ولا سيما ان كان المنظوم من نفائس العلوم . قال بعض العلماء: الراجح عند الجمهور طلب البسملة في ابتداء الشعر مالم يكن محرماً او مكروهاً ، قال : واما ماتعلق بالعلوم فمحل اتفاق .

قوله : بسم الله ،اي: باسم مسمى هذا اللفظ الاعظم، الموصوف بأوصاف الكمال ، فالباء متعلقة بمحذوف ، وتقديره فعلاً خاصاً مؤخراً أولى من تقديره اسما عاماً مقدماً أما أولوية كونه فعلا فلأنه الاصل في العمل وحينئذ فمحل الجار والمجرور النصب على المفعولية بالفعل المقدر واما أولوية كونه خاصاً فلأنه أدل على المطلوب فتقدير ألف عند التأليف أولى من ابتدائي ، وكذا عند القراءة ، ونحو ذلك ، فيقدر عند كل أمر ماينا سبه . واما أولوية تقديره مؤخراً فلأمرين أحدهما : الاهتمام بالابتداء باسم الله تعالى لفظاً وتقديراً ، لانه تعالى يقدم ذاتاً فقدم ذكراً ، ليوافق الاسم المسمى .

والثاني : لافادة التخصيص ، كما في قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) . لايقال : الاولى ملاحظة قوله تعالى (اقرأ بأسم ربك) لانا نقول : المطلوب الأهم ، ثم القراءة ، لانها أول مانزل عليه ﷺ واول ماطرق المسامع الشريفة من الوحي ، فكان الانسب تقديم القراءة لمزيد الاعتناء بها والاهتمام والله أعلم .

فائدة : الاسم في المخلوق غير المسمى وفي حق الخالق تعالى لاغير ولا عين[1]. قال الامام المحقق ناظم هذه المنظومة في كتابه « بدائع الفوائد» : اسماء الله الحسنى في القرآن من كلامه تعالى ، وكلامه غير مخلوق ولايقال : هي غيره ، ولا هي هو . وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون : اسماؤه غيره وهي مخلوقة انتهى .

و«الله» علم على ربنا سبحانه . قال الكسائي والفراء : أصله الاله حذفوا

---

(١) قوله : لا غير ولا عين يخالف ما استدل به من كلام ابن القيم حيث قال : لا يقال : هي غيره ولا هي هو . « ابن مانع »

الهمزة وادغموا اللام فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال الناظم في « بدائع الفوائد » زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له ، فيستحيل الاشتقاق . ولا ريب أنه ان اريد بالاشتقاق هـــذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ، ولا ألم بقلبه ، وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة ، والقديم لامادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الاسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى ، ثم الجواب عن الجميع أنا لانعني بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لأنها متولدة منها تولد الفرع من أصله ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلًا وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وانما هو باعتبار أن احدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً ، وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقاً ، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه ، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى . انتهى . وقال أبو جعفر بن جرير : « الله » أصله الاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم ، واللام الزائدة ، وهي ساكنة فأدغمت في الاخرى فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة . انتهى .

وأما تأويل الله فانه على ماروي لنا عن عبد الله بن عباس قال : هو الذي يألهه كل شيء ، ويعبده كل خلق ، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . فان قال لنا قائل وما دل على أن الألوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له

أصلاً في فعل ويفعل وذكر بيت رؤبة بن العجاج

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تاله

يعني من تعبدى، وطلبي الله بعملي[1] . ولا شك أن التألهالتفعل من أله يأله وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ فعل يفعل بغير زيادة . وذلك ماحدثنا به سفيان بن وكيع وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ (ويذرك وإلا هتك) الاعراف ١٢٧ قال : عبادتك ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد ، وذكر مثله عن مجاهد فقد تبين قول ابن عباس ومجاهد أن أله عبد ، وأن الإلهة مصدره ، وساق حديثاً عن أبي سعيد مرفوعاً أن عيسى أسلمته أمه الى الكتاب ليعلمه فقال المعلم : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال عيسى : أتدري ما الله؟الله إله الآلهة .

الرحمن الرحيم

اسمان مشتقان من رحم بجعله لازماً بنقله الى باب فعل بضم العين ، وبتنزيله منزلة اللازم ، إذ هما صفتان مشبهتان ، وهي لا تشتق من متعد . والرحمن أبلغ من الرحيم ، لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً ، كما في قطع وقطّع ، ومن غير الغالب قد يفيد ناقص البناء ما لايفيد زائده من المبالغة كحذر وحاذر ، فان « حذر » أبلغ من « حاذر » . فالرحمن صفة في الأصل بمعنى كثير الرحمة جداً ، ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها ، وهو الله ، والرحيم ذو الرحمة الكثيرة .

قال الناظم في « بدائع الفوائد » : أسماء الرب تعالى سماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله ، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ، فالرحمن اسمه

---

(١) في الأصل وطلب الله بعمل .

تعالى ووصفه لا ينافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع ، يعني كقوله تعالى (الرحمن علم القرآن) الرحمن : ١ (الرحمن على العرش استوى) طه ٥ : (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الملك : ٢٠ وهذا شأن الاسم العلم . ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيئه منفرداً غير تابع كمجيء اسمه الله كذلك ؛ وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره بل متبوعاً ، بخلاف العليم والقدير ، والسميع والبصير ، ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة .

قال رحمه الله : وأما الجمع بين الرحمن والرحيم ففيه معنى بديع ، وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، وكأن الأول الوصف ، والثاني الفعل ، فالأول دال على أن الرحمة صفته ، أي : صفة ذات له سبحانه ، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ؛ أي : صفة فعل له سبحانه ، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيما) الأحزاب : ٤٣ (إنه بهم رؤوف رحيم) سورة التوبة : ١١٧ ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته . قال رحمه الله : وهذه النكتة لا تكاد تجدها في كتاب ، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها . انتهى .

ورحمة الله تعالى جل شأنه ، وتعالى سلطانه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والإنعام . وأما تفسيرها برقة في القلب ، تقتضي التفضل فالتفضل غايتها ، فيراد منها غايتها ، كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزمخشري في « كشافه » وغيره من النظار فهذا إنما يليق برحمة المخلوق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس ، وبينهما بون ، ونظير ذلك «العلم» فإن حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق ، بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة

إليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق ، إذ هي في المخلوق ميل القلب إلى الفعل أو الترك ، والله منزه عن ذلك. وكذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى إلى الفعل بمعنى الانعام والتفضل ، فإن فعل العبد الاختياري إنما يكون لجلب نفع للفاعل ، أو دفع ضرر عنه ؛ ولا كذلك فعله تعالى ، فما فر منه أهل التأويل موجود في ما فروا إليه من المحذور ، وبهذا ظهر أنه لا حاجة إلى دعوى المجاز في رحمته تعالى فانه خلاف الاصل ، وهو إنما يصار إليه عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة ، ولا تعذر هنا كما لا يخفى . وأيضاً معيار المجاز صحة نفيه ، كما إذا قيل : زيد أسد أو بحر أو قمر ، لشجاعته أو كرمه أو حسنه ، فانه يصح أن تقول : زيد ليس بأسد ، أو ليس ببحر ، أو ليس بقمر ، وهذا مما لا خلاف فيه بينهم ، ولا يصح أن يقال : الله ليس برحيم ، فلو كانت الرحمة مجازاً في حقه تعالى لصح ذلك . ولا ريب أن الرحمة صفة كمال ، وسائر الكتب السماوية مملوءة بذكرها ، واطلاقها عليه تعالى ، ومن العجب أن تكون هذه الصفة العظيمة حقيقة في خلق المخلوق مجاز في حق الخالق .

والحاصل أن الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي ، وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى ، وتارة من حيث قيامها بغيره تعالى ، وليست الاعتبارات متماثلة ، إذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، والكلام على الصفات فرع عن الكلام في الذات ، كما أنا نثبت ذاتاً ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق كما اشار إلى ذلك وقرره ونبه عليه وحرره الناظم في « بدائع الفوائد »

قوله[1] : الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته ، وأقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته ، وادت له الشهادة جميع الكائنات أنه الله الذي لا إله الا هو بما أودعها من لطيف صنعه ، وبديع آياته ، وسبحان الله

---

(١) الشارح لم يشرح جميع ماذكر هنا من هذه الجمل العظيمة ، وذلك - والله أعلم - خوفاً من التطويل . « ابن مانع »

وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشـــه ، ومداد كلماته ، ولا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ، ولاشبيه له في أفعاله ، ولا في صفاته ، ولا في ذاته ، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه ، وجرى به قلمه ، ونفذ فيه حكمه من جميع بريآته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، تفويض عبد لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، بل هو بالله وإلى الله في مبادىء أمره ونهاياته .

الحمد لغة : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل ، وعرفاً : فعل ينبىء عن تعظيم المنعم على الحامـد وغيره والشكر لغة : هو الحمد اصطلاحاً ، وعرفاً : صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله . فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة ، وينفرد الحمد فيما إذا كان باللسان ، لا في مقابلة نعمة ، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة . واختار الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت على الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث ، لأنه مع كونه على نسق الكتاب العظيم أليق بالمقام ، وتفاؤلاً بذلك . وهي وإن كانت خبرية لفظاً فهي إنشائية معنى . « وأل » في الحمد للاستغراق أو الجنس أو العهد ، أي : كل الحمد مستحق ، أو جنسه مختص ومملوك لله . وعلامة « أل » الاستغراقية أن يخلفها كل ونحوها و « أل » الجنسية إذا تعقبتها لام الاختصاص كان المعنى جنس الحمد مختص ومملوك له تعالى فتفيد ما أفادته أل الاستغراقية ضمناً ، وإن كانت « أل » للعهد فالمعهود ثناء الله على نفسه ، وثناء ملائكته ورسله وأنبيائه وخواص خلقه ، ولا نظر لغير ثنائهم . و « اللام » في لله للملك و الاستحقاق أو الاختصاص . ولما ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقياً ، وهو الاتيان بها قبل كل شيء ؛ أعقبها

بالحمدلة ابتداء إضافياً ، أي : بالنسبة لما بعدها ، وهو ما يقدم على الشروع في المقصود في الذات جمعاً بين حديثي البسملة والحمدلة ، ولم يعكس لموافقة الكتاب العزيز ، فإن الصحابة افتتحوا كتابته في الإمام الكبير بالتسمية ، والحمدلة تلوها ، وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار سواء في ذلك من يقول : بأن البسملة آية ، ومن لا يقول ذلك فكان أولى .

قوله : **شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته الخ .**

المخلوق : هو المصنوع ومعنى شهادة المخلوقات بربوبيته سبحانه : أن العقل الصريح يقطع بأن المخلوق لا بد له من خالق ، والمصنوع لابد له من صانع ، والحادث لابد له من محدث لاستحالة حدوث الحادث بنفسه كما قال تعالى (أم خلقوا من غير شيء أم هو الخالقون)الطور:٣٥ يقول سبحانه : أحدثو من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ، ومعلوم أن المحدث لا يوجد بنفسه ، وطريق العلم بذلك أن يقال : الموجود إما حادث ، وإما قديم ، والحادث لا بد له من قديم فيلزم ثبوت القديم على كل حال ، وذلك أن الفقر والحاجة لكل حادث وممكن وصف لازم لهما فهي مفتقرة إليه دائماً ، حال الحدوث ، وحال البقاء ، ومن زعم من أهل الكلام أن افتقارهما إليه في حال الحدوث فقط كما يقوله من يقوله من المعتزلة وغيرهم ، أو في حـــال البقاء فقط كما يقوله من يقوله من المتفلسفة القائلين بمساوات العالم له وكلا القولين خطأ كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في « شرح عقيدة شمس الدين الأصبهاني » فالإمكان والحدوث متلازمان فكل محدث ممكن ، وكل ممكن محدث ، والفقر ملازم لهما ، فلا تزال مفتقرة إليه لا تستغني عنه لحظة عين ، وهو الصمد الذي يصمد إليه جميع المخلوقات ، ولا يصمد هو إلى شيء ، بل هو سبحانه

الغني بنفسه ، المغني لما سواه وله رحمه الله في هذا المعنى .

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف لهذاني.

قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وتسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء آية تدل على أنه واحد

وسئل أبو نواس عن وجود الصانع فأنشد

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

قوله : **وأدت له الشهادة جميع الكائنات الخ . ..** في هذه البراعة الإشارة إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وسيأتي بسط الكلام على ذلك في توحيد الأنبياء والمرسلين .

قوله : الكائنات قال في « القاموس » الكون الحدث كالكينونة ، والكائنة كالحادثة وكونه الله : خلقه والله الأشياء أوجدها .

قوله : **وسبحان الله الخ..** سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ، وانتصابه بفعل متروك إظهاره .

قوله : **ولا حول ولا قوة الا بالله** ؛ أي : لا تحول من حال الى حال ، ولا قدرة على ذلك إلا بالله ، وقيل : لا حول عن معصية الله إلا بعونة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ، والمعنى الأول أجمع وأشمل .

قوله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا صاحبة له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا كفء له ، الذي هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع بريّاته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، وخيرته من بريته ، وسفيره بينه وبين عباده ، وحجته على خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، ودروس من الكتب والكفر قد اضطرمت ناره ، وتطايرت في الآفاق شراره ، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب ، وقد نظر الجبار تبارك وتعالى اليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقد استند كل قوم إلى ظُلَم آرائهم ، وحكموا على الله سبحانه بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم ، وليل الكفر مدلهم ظلامه ، شديد قتامه ، وسبل الحق عافية آثارها ، مطموسة أعلامها ، فخلق الله سبحانه بمحمد ﷺ صبح الإيمان فأضاء حتى ملأ الآفاق نوراً وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً ، فهدى الله به من الضلالة ، وعلّم به من الجهالة ، وبصّر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وكثّر به بعد القلة ، وأعز به بعد الذلة ، وأغنى به بعد العيلة ، واستنقذ به من الهلكة ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، فبلغ الرسالة ، ودى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، وشرح الله له صدره ، ورفع له ذكره ، ووضع عنه وزره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، وأقسم بحياته في كتابه المبين ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذكر ذكر معه ، كما في الخطب والتشهد والتأذين ، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين ، فصلى الله

وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه كما عرفنا بالله ، وهدانا إليه ، وسلم تسليما كثيراً .

أي : أخبر أني قاطع بالوحدانية . قوله : وسفيره قال في « القاموس» وسفره تسفيراً : أرسله إلى السفر .قوله : وطموس من السبل.الطموس : الدروس والإمحاء،يطمس ويطمِس طمساً محوته ، والشيء استأصلت أثره، ومنه «فإذا النجوم طمست»المرسلات:٨قاله في «القاموس » قوله :قتامه القتام كسحاب . الغبار . قاله في « القاموس » قوله . عافية آثارها . قال في « القاموس » عفا شعر البعير . كثروطال فغطى وبره ، وقدعفيته وأعفيته . قوله . حنادس الظلم . قال في « القاموس الحندس بالكسر . الليل المظلم والظلمة ، جمع حنادس ، وتحندس الليل أظلم . قوله . الصغار . قال في « القاموس »صغر ككرم وفرح صغارة صغراً كعنب ، وكذاصغاراً وصغارة بفتحهما، وصغراً وصغراناً بضمهما، وأصغره :جعله صاغراً. انتهى. قوله : وقرن اسمه باسمه الخ قوله:كما في الخطب والتشهد والتأذين هذا ظاهر ، وهذا كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أغر عليه للنبوة خاتم من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

قوله . فصلى الله وملائكته الخ. الصلاة من الله تعالى . الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير . هذا هو المشهور، والجاري على ألسنة الجمهور ، ولم يرتض هذا الناظم في كتابه «جلاء الأفهام» و « بدائع الفوائد » وغيرهما ، ورده من وجوه ، منها أن الله تعالى غاير

بينها في قوله تعالى: (صلوات من ربهم ورحمة) البقرة: ١٥٧ الثاني ان سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم ، والصلاة تختص بالنبي ﷺ واله فهي حق له ولآله ، ولهذا المعنى منع كثير من العلماء الصلاة على معين غيره يعني : وغير سائر الأنبياء والملائكة ، ولم يمنع أحد من الترحم على معين من المسلمين . الثالث أن رحمة الله عامة ، وسعت كل شيء ، وصلاته خاصة لخواص عباده . وقولهم الصلاة من العباد بمعنى الدعاء ، مشكل أيضاً من وجوه أحدها : أن الدعاء يكون بالخير والشر ، والصلاة لا تكون إلا في الخير. الثاني : أن دعوت يعدى باللام ، وصليت لا يتعدى إلا بـ «على» ، و « دعاء » المعدى بـ«على» ليس بمعنى صلى ، وهذا يدل على أن الصلاة ليست بمعنى الدعاء . الثالث : أن فعل الدعاء يقتضي مدعواً ومدعواً له ، تقول: دعوت الله لك بخير ، وفعل الصلاة لا يقتضي ذلك ، لا تقول : صليت الله عليك ولا لك ، فدل على أنه ليس بمعناه ، فأي تباين أظهر من هذا. قال : ولكن التقليد يعمي عن إدراك الحقائق ، فإياك والإخلاد الى أرضه . قال : في «البدائع» ورأيت لابي القاسم السهيلي رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في اشتقاق الصلاة ، فذكر ما ملخصه أن معنى اللفظة حيث تصرفت ترجع الى الحنو والعطف ، الا أن ذلك يكون محسوساً ومعقولاً ، فالمحسوس منه صفات الاجسام ، والمعقول صفة ذي الجلال والاكرام ، وهذا المعنى كثير موجود في الصفات والكثير يكون صفة للمحسوسات ، وصفة للمعقولات ، وهو من أسماء الرب تعالى وتقدس عن مشابهة الأجسام ، وصفات الأنام ، فما يضاف إليه تعالى من هذه المعاني معقولة غير محسوسة ، فإذا ثبت هذا فالصلاة كما قلنا حنو وعطف من قولك : صليت ؛ أي حنيت صلاك وعطفته ، فأخلق بأن تكون الرحمة كما سمي

عطفاً وحنواً ، تقول : اللهم اعطف علينا ؛ أي : ارحمنا. قال الشاعر :

وما زلت في ليني له وتعطفي عليه كما تحنو على الولد الأم

وأما رحمة العباد فرقة في القلب إذا وجده الراحم من نفسه ؛ انعطف على المرحوم ، وانثنى عليه . ورحمة الله للعباد جود وفضل ، فإذا صلى عليه فقد أفضل عليه ، وأنعم ، وهذه الأفعال إذا كانت من الله ومن العباد، فهي متعدية بـ«على» ، مخصوصة بالخير، لا تخرج عنه إلى غيره ، فرجعت كلها إلى معنى واحد ، إلا أنها في معنى الدعاء . والرحمة صلاة معقولة ؛ أي : انحناء معقول غير محسوس ، ثم هو من العبد الدعاء ، لأنه لا يقدر على أكثر منه ، وثمرته من الله الإحسان والانعام . فلم تختلف الصلاة في معناها ، وإنما اختلفت ثمرتها الصادرة عنها ، والصلاة التي هي الركوع والسجود انحناء محسوس ، فلم يختلف المعنى فيها إلا من جهة المعقول . وليس ذلك باختلاف في الحقيقة ، ولذلك تعدت كلها بـ«على» ، واتفقت في اللفظ المشتق من الصلاة ، ولم يجز صليت على العدو ؛ أي : دعوت عليه ، فقد صار بمعنى الصلاة أرق وأبلغ من معنى الرحمة ، وإن كان راجعاً إليه ، إذ ليس كل راحم ينحني على المرحوم ، ويتعطف عليه من شدة الرحمة انتهى . قوله : وسلم السلام بمعنى التحية والسلامة من النقائص والرذائل ، وفي «المطلع» قال الأزهري في قولك : السلام عليك قولان أحدهما : اسم السلام ، ومعناه اسم الله عليك ، ومنه قول لبيد

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والثاني سلم الله عليك تسليماً وسلاماً ، ومن سلم الله عليه سلم من الآفات كلها . قال الحافظ ابن الجزري في مفتاح « الحصن » واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى ولا كمل والأفضل ، لقوله تعالى (صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب: ٥٦

ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع ، منهم مسلم في « صحيحه » خلافاً للشافعية. وفي كلام بعضهم : لا اعلم أحداً نص على الكراهة حتى إن الإمام الشافعي نفسه اقتصر على الصلاة دون التسليم في خطبة « الرسالة » . والله اعلم .

قوله : وقد نضر الجبار تبارك وتعالى الخ يشير الى حديث عياض بن حمار المجاشعي الذي رواه مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال ، واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ... الحديث .

أما بعد فإن الله جل ثناؤه ، وتقدست اسماؤه إذا اراد أن يكرم عبده بمعرفته ، ويجمع قلبه على محبته ، شرح صدره لقبول صفاته العلى ، وتلقيها من مشكاة الوحي ، فاذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول ، وتلقاه بالرضى والتسليم وأذعن له بالانقياد ، فاستنار به قلبه ، واتسع له صدره ، وأمتلأ به سروراً ومحبة ، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله ، فأن نزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغداء اعظم ما كان اليه حاقة ، ومنزلة الشفاء أشد ما كان اليه حاجة ، فامتد بها فرحه ، وعظم بها غناؤه ، وقويت بها معرفته ، واطمأنت إليها نفسه ، وسكن إليها قلبه ، فجال من المعرفة في ميادينها ، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها ، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه ، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته ، وهو ذو الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وان شرفه أيضاً

بحسب الحاجة إليه ، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منهـــا إلى معرفة بارئها وفاطرها ، ومحبته وذكره ، والابتهاج به ، وطلب الوسيلة إليه ، والزلفى عنده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه ، فكلما كان العبد بها أعلم ؛ كان بالله أعرف ، وله أطلب ، وإليه أقرب ، وكلما كان لها أنكر ؛ كان بالله أجهل ، وإليه أكره ، ومنه أبعد . والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه ، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً ، وعنها نافراً ومنفراً ؛ فالله له أشد بغضاً ، وعنه أعظم إعراضاً ، وله أكبر مقتاً حتى تعود القلوب إلى قلبين : قلب ذكر الأسماء والصفات قوته وحياته ، ونعيمه وقرة عينه ، لو فارقه ذكرها طرفة عين ، ومحبتها لحظات لا ستغاث : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فلسان حاله يقول :

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل[1]

ويقول :

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسياً ... ألفيت أحشائي بذاك شحاحا

ويقول :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحياناً فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته ، نافر من سماعها ، معرض بكليته عنها ، زاعم أن السلامة في ذلك ، كلا والله ، إن هو إلا الجهالة والخذلان والإعراض عن العزيز الرحيم ، فليس القلب الصحيح قط إلى شيء أشوق منه إلى معرفة ربه تعالى وصفاته ، وأفعاله وأسمائه ، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك ، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يضرب على قلبـــه

---

(١) قوله يراد من القلب نسيانكم الخ هذا البيت للمتنبي من قصيدة . والطباع بالكسر : السجية التي جبل عليها الانسان ، والطباع ما ركب فينا من المطعم والمشرب وغير ذلك من الأخلاق التي لا تزايلنا كالطابع كصاحب قاله في « القاموس » .

سرادق الإعراض عنها والنفرة والتنفير ، والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله ، والإيمان به وبصفاته وأسمائه . والقلب الثاني : قلب مضروب بسياط الجهالة فهو عن معرفة ربه ومحبته مصدود ، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما انزلت عليه مسدود ، وقد قمش شبهاً من الكلام الباطل ، وارتوى من ماء آجن غير طائل ، تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلى الله عجيجاً ، وتضج منه إلى منزلها ضجيجاً مما يسومها تحريفاً وتعطيلاً ، ويؤول معانيها تحريفاً وتبديلاً ، قد أعد [1] لدفعها أنواعاً من العدد ، وهيأ لردها ضروباً من القوانين . قوله من القوانين . القانون : مقياس كل شيء ، جمعه قوانين . قاله في « القاموس » . وإذا دعي إلى تحكيمها أبى واستكبر وقال : تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين ، قد أعد التأويل جنة يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن ، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيما وتشبيهاً ، يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان ، مزجي البضاعة . قوله : مزجي البضاعة قال في « القاموس » : وبضاعة مزجاة ، أي : قليلة . من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء ، لكنه مليء بالشكوك والشبه ، والجدال والمراء . قوله : الجدال والمراء . قال ابن الأثير في « النهاية » في معنى حديث ما اوتي قوم الجدل إلا ضلوا »[2] : الجدل مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة المناظرة والمخاصمة ، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل ، وطلب

---

(١) اعد بفتح الهمزة وتشديد الدال ، اي : هيأ .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/٢٥٦) عن ابي أمامة بلفظ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

المغالبة، وأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمود ، لقوله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) انتهى . وفي « مختصر الصحاح » للقرطبي جدل بالكسر جدلاً أحكم الخصومة ، وجادله مجادلة وجدالاً خاصمه انتهى . والمراء : الجدال والمخاصمة . قال القرطبي في « مختصر الصحاح » ماريته أماريه مراء : جادلته . انتهى . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » من المراء والجدال ، وهو المخاصمة والمحاججة وطلب القهر بالغلبة ، والترهيب في تركه للمحق والمبطل . انتهى . فعلمنا أن الجدال والمراء مترادفان ، وأن العطف فيهما عطف المترادفين . انتهى . خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل ، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث ، والتبديع لهم والتضليل ، قد طاف على أبواب الآراء والمذاهب ، يتكفف أربابها ، فانثنى بأخسر المواهب والمطالب ، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد ، وغاية الاحسان ، فابتلي بالوقوف على الأبواب السافلة المليئة بالخيبة والحرمان ، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد ، والشبهة والعناد ، فإذا بذلت له النصيحة ، ودعي إلى الحق ؛ أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الايمان . وما أشد الجناية به على السنة والقرآن ، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن ، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان ، والجهاد بالحجة واللسان مقدم على الجهاد بالسيف والسنان ، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً ، فقال تعالى (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) الفرقان :٥٢ وأمر تعالى بجهاد المنافقين ، والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير ، فقال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم

جهنم وبئس المصير) التوبة : ٧٣ فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق ، و« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق ». وكفى بالعبد عمى وخذلانا أن يرى عساكر الايمان ، وجنود السنة والقرآن ، وقد لبسوا للحرب لأمته ، وأعدوا له عدته ، وأخذوا مصافهم ، ووقفوا مواقفهم ، وقد حمي الوطيس ، ودارت رحى الحرب ؛ واشتد القتال ، وتنادت الأقران : النزال النزال ، وهو في الملجأ والمغارات ، والمدخل مع الخوالف كمين ، وإذا ساعد القدر ، وعزم على الخروج ، قعد على التل مع الناظرين ، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين ؛ ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه إني كنت معكم ، وكنت أتمنى أن تكونوا انتم الغالبين . فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان ، وأن لا يعرضها غداً بين يدي الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان ، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان ، وأن لا يتحيز الى مقالة سوى ما جاء في السنة والقرآن ، فكأن قد كشف الغطاء ، وانجلى الغبار ، وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة ، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة ، والفرقة الضالة ، فو الله لمفارقة أهل الاهواء والبدع في هـــذه الدار أسهل من مرافقتهم إذا قيل (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) الصافات : ٢٢ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وبعده الإمام أحمد : أزواجهم : أشباههم ونظراؤهم ، قال تعالى (وإذا النفوس زوجت) التكوير : ٧ قالوا : فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته ، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته ، هنالك والله يعض الظالم على يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه ، « يقول : ياليتني اتخذت

مع الرسول سبيلًا يا ويلتى ليتني لم أتخـــذ فلاناً خليلًا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا الفرقان: ٢٧-٢٩ . شرع الناظم رحمه الله تعالى في حكاية مناظرة حصلت بينه وبين بعض المعطلة فقال :

فصل

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ، وبين معطل لذلك ، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع اليه ، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه ، فقال له : ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء ؟ فقال المثبت : نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى ، وما قاله نبينا ﷺ ، نصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل . بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفســه من الأسماء والصفات ، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات ، إثباتا بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً ، فالمشبه يعبد صنماً ، والمعطل يعبد عدماً ، والموحـــد يعبد إلهاً واحداً صمداً (ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير)الشورى: ١١ .

والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فكما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك نقول في صفاته : إنها لا تشبه الصفات ، فليس كمثله شيء ، لافي ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فلا تشبه صفات الله بصفات المخلوقين ، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شـــناعة

المشنعين وتلقيب المفترين ، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتسمية الروافض لنا نواصب ، ولا نكذب بقدر الله ، ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته ، لتسمية القدرية لنا مجبرة ، فلا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى ، لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية ، ورحمة الله على القائل :

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته فاني بحمد الله لها مثبت

الى ...

فان كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فاني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث قال :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الاسلام ابن تيمية إذ يقول:

ان كان نصبا حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

فصل

وأما القرآن فاني أقول : إن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، تكلم الله به صدقاً ، وسمعه منه جبريل حقاً ، وبلغه محمداً صلى الله عليه وسلم وحياً ، وان (كهيعص) و (حم عسق) و (الر) و (ق) و (ن) عين كلام الله حقيقة ، وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ ، وإن جميعه كلام الله ، وليس قول البشر ، ومن قال : انه قول البشر فقد كفر ، والله يصليه

سقر ، ومن قال : ليس لله بيننا في الأرض كلام ، فقد جحد رسالة محمد ﷺ ، فان الله بعثه ليبلغ عنه كلامه ، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله ، فاذا انتفى كلام المرسل انتفت رسالة الرسول. ونقول : ان الله فوق سمواته ، مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وانه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب ، وتعرج الملائكة والروح اليه ، وإنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه ، وان المسيح رفع بذاته الى الله وإن رسول الله ﷺ عرج به الى الله حقيقة ، وإن ارواح المؤمنين تصعد الى الله عند الوفاة ، فتعرض عليه ، وتقف بين يديه ، وانه تعالى هو القاهر فوق عباده ، وهو العلي الأعلى ، وان المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم من فوقهم ، وإن أيدي السائلين ترفع اليه وحوائجهم تعرض عليه ، فانه سبحانه هو العلي الأعلى بكل اعتبار . فلما سمع المعطل منه ذلك ، أمسك ثم أسرها في نفسه ، وخلى بشياطينه وبني جنسه ، وأوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال ، ورأموا أمراً يستحمدون به الى نظرائهم من أهل البدع والضلال ، وعقدوا مجلساً بيتوا في مساء يومه مالا يرضاه الله من القول ، والله بما يعملون محيط ، وأتوا في مجلسهم بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط ، ورأموا استدعاء المثبت الى مجلسهم الذي عقدوه ، ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم مالفقوه من المكر وتموه ، فحبس الله سبحانه عن أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه ، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء اليه ، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر ، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر ، وأخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها قوله المخبات . خبأه كمنعه ستره كخبأه واختبأه ، قاله في «القاموس» قوله ، كمائنها قال في «القاموس»

كمن له كنصر وسمع كموناً : استخفى وأكمنه . والكمين كأمير القوم يكمنون في الحرب

ـ ومن الجوائف والمنقلات ـ قوله : ومن الجوائف هي جمع جائفة ، وهي طعنة تبلغ الجوف . قوله : ومن المنقلات ، جمع منقلة ، وهي ماتوضح العظم وتهشمه وتنقل عظامه دفائنها . وقوى الله جأش عقد المثبت ، وثبت قلبه ولسانه ، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه ، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان ، وحكم على نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين ، وأنه لايستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان ، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قدمتموه ، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه ، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم لقاصيهم ، فلم يذعنوا لذلك ، واستعفوا من عقده ، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث : مناظرة في مجلس عالم على شريطة العلم والانصاف ، تحضر فيه النصوص النبوية ، والآثار السلفية ، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين . فقيل لهم : لا مراكب لكم تسابقون بها في هـــذا الميدان ، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان . فدعاهم إلى مكاتبته فيما يدعون إليه ، فإن كان حقا قبله وشكركم عليه ، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت وتبين لكم حقيقة ما لديه ، فأبوا ذلك أشد الإباء واستعفوا غاية الاستعفاء ، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في موقف الابتهال حاسري الرؤوس ، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال ، وظن المثبت ـ والله ـ أن القوم يجيبونه إلى هذا ، فوطن نفسه عليه غاية التوطين ، وبات يحاسب نفسه ، ويعرض ما يثبته وينفيه عن كلام رب العالمين ، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين . ويتجرد من كل هوى يخالف الوحي المبين ، ويهوي بصاحبه إلى أسفل سافلين ، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً ، وأتوا من

الاعتذار بما دله على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار ، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه ، وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه ، يشهده القريب والبعيد ، ويقف على مضمونه الذكي والبليد ، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد ، والمثبت المرمي بالتجسيم ، وقد خاصم في هذا المجلس بالله ، وحاكم إليه ، وبرىء إلى الله من كل هوى وبدعة وضلالة ، وتحيز إلى فئة غير رسول الله ﷺ وما كان أصحابه عليه . والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه ، ولا إلى شيء مما لديه ، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ، فإن أزمة الأمور بيديه ، وهو يرغب إلى من يقف على هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه ، قاصد لرضى مولاه ، ثم يقرؤها متفكراً ، ويعيدها ويبديها متدبراً ، ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين ، ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين [1] فإن رأى حقاً قبله وشكر عليه ، وإن رأى باطلاً رده على قائله ، وأهدى الصواب اليه ، فان الحق لله ورسوله ، والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله ، والله عند لسان كل قائل وقلبه ، وهو المطلع على نيته وكسبه ، وما كان اهل التعطيل أولياءه ، إن أولياؤه الا المتقون المؤمنون المصدقون ، «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون» التوبة : ١٠٥ .

---

(١) قابلها أبو الحسن السبكي بالشتم واللعن برسالة زعم انه رد بها على النونية، ومن قرأها ظهر له جهل السبكي وجراءته على أهل العلم بما لايرضي الله .
(ابن مانع)

فصل

وهذه امثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد ، ذكرتها قبل الشروع في المقصود ، فان ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود ، وقد قال تعالى وكلامه المشتمل على اعظم الحجج وقواطع البراهين (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون). العنكبوت ٤٣ وقد اشتمل منها على بضعة وأربعين مثلا ، وكان بعض السلف اذا قرأ مثلا لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول لست من العالمين . وسنفرد لها ان شاء الله كتاباً مستقلا متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنه من كنوز العلم وحقائق الايمان ، وبالله المستعان وعليه التكلان (١).

المثل الاول ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف وشرابه متغير بنجاسة التعطيل وثياب المشبه مضمخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل . والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن ، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين .

المثل الثاني : شجرة المعطل مغروسة على شفا جرف هار ، وشجرة المشبه قد اجتثت من فرق الارض مالها من قرار ، وشجرة الموحد اصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون .

المثل الثالث : شجرة المعطل شجرة الزقوم ، فالخلوق السليمة لاتبلعها،

---

(١) قد وفقه الله لوفاء بوعده فألف فيها مجلداً متوسطاً . « ابن مانع »

وشجرة المشبه شجرة الحنظل فالنفوس المستقيمة لا تتبعها ، وشجرة الموحد طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها .

المثل الرابع : المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت والمشبه قد خسف بعقله ، فهو يتجلجل في أرض التشبيه الى البهموت ، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً الى الحي الذي لا يموت .

المثل الخامس : مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل ، فطفىء وما أنار ، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عكر التشبيه ، فلا تقتبس منه الأنوار. العكر بفتحتين : دردي الزيت [1] وغيره ، وقد عكرت المسرجة من باب طرب : اجتمع فيها الدردي ، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره ، وقد عكر فهو عكر ، وأعكره غيره وعكره تعكيراً : جعل فيه العكر . قاله في « مختار الصحاح » ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيىء ولو لم تمسسه نار .

المثل السادس : قلب المعطل متعلق بالعدم ، فهو أحقر الحقير ، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير ، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

المثل السابع : نقود المعطل كلها زيوف فلا تروج علينا ، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا ، وتجارة الموحد ينادى عليها يوم العرض على رؤوس الأشهاد هذه بضاعتنا ردت الينا .

المثل الثامن : المعطل كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة . والمشبه كبائع الخمر ، إما أن يسكرك ، وإما أن ينجسك ، والموحد كبائع المسك ، إما أن يحذيك ، وإما أن يبيعك ، وإما أن تجد منه رائحة طيبة .

---

(١) دردي الزيت وغيره : مايبقى في أسفله : « مختار » (ابن مانع)

المثل التاسع : المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان ، والمشبه قد انكسرت به في اللجة ، فهو يشاهد الغرق بالعيان ، والموحد قد ركب سفينة نوح وقد صاح به الربان : اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم .

المثل العاشر : منهل المعطل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فرجع خاسئاً حسيراً ، ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً ، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً .

وقد سميتها : بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهذا حين الشروع في المحاكمة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله : (أما بعد) اي أما بعد ماذكر من حمد الله والصلاة والسلام على رسوله (أما) نائبة عن (مهما) ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها. و (بعد) من الظروف المبنية ما لم تضف لفظاً ومعنى ، أو ينوى ثبوت لفظ المضاف إليها ، أو تقطع عن الإضافة رأساً ، فتعرب حينئذ في الثلاثة وإن حذف المضاف إليها ونوي ثبوت معناه بنيت على الضم ، وهذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من اسلوب إلى غيره ، أي بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

ويستحب الإتيان بها في الخطب والمكاتبات ، لأن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه ومكاتباته للملوك وغيرهم .

واختلف في أول من نطق بها ، فقيل : داود عليه السلام . وعن الشعبي : أنها فصل الخطاب الذي أوتيه ، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد. وقيل : أول من نطق بها يعقوب . وقيل . أيوب. وقيل : سليمان، عليهم السلام.

وقيل : قس بن ساعدة الأيادي . وقيل : كعب بن لؤي . وقيل : يعرب بن قحطان ، والقول الأول وهو أن أول من نطق بها داود عليه السلام أشبه ، كما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره .

قوله فإن الله جل ثناؤه الخ . الفاء في جواب (أما) النائبة عن (مهما) لتضمنها معنى الشرط .

قوله : قد قمش . قال في « القاموس » . القمش جمع القماش ، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش . وما أعطاني إلا قماشاً ؛ أي : أردأ ما وجده

قوله : آجن . الآجن الماء المتغير الطعم واللون ، أجن كضرب وفرح ونصر أجناً وأجناً وجوناً . قاله في « القاموس » .

قوله : تعج منه آيات الصفات الخ . قال في « القاموس » : عج يعج ويعج كنيل عجاً وعجيجا : صاح ورفع صوته .

قوله : وتضج الخ . قال في « القاموس » . أضج[1] القوم اضجاجا : صاحوا وأجلبوا ، فإذا جزعوا وغلبوا ، فضجوا يضجون ضجيجاً .

قوله : الوطيس . الوطيس هو التنور والآن حمي الوطيس ، أي اشتد الحرب ، قاله في « القاموس » .

قوله : جنة . الجنة بالضم . قال في « القاموس » جنه الليل ، وعليه جناً وجنوناً ، وأجنه : ستره ، وكل ما ستر عنك فقد جن عنك . وأجن عنه واستجن : استتر .

قوله . جأش المثبت . قال في « القاموس » : الجأش رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ونفس الانسان ، وقد لا يهمز جمع جؤوش .

قوله : في مواقف الابتهال . قال ابن هشام في « تهذيب السيرة » : نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين : ندعو باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

---

(١) في الأصل : اضج ، وهو خطأ ، والتصويب من « القاموس » .

لاتعقدن[1] وقد أكلتها حطبا نعوذ من شرها يوماً ونبتهل

يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بهل الله فلاناً ؛ أي : لعنه ، وعليه بهلة الله ؛ أي : لعنة الله . ويقال : بهله الله ؛ أي : لعنه ، ونبتهل أيضاً : نجتهد في الدعاء . انتهى .

وأما حكم المباهلة ، فقد كتب بعض العلماء رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب , والسنة ، والآثار ، وكلام الأئمة . وحاصل كلامه فيها أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً وقع فيه اشتباه وعناد لا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في ازالة الشبهة ، وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة اليها . انتهى .

وهذا حين الشروع في شرح « النظم » فأقول والله الموفق : بحر هذه المنظومة المباركة هو الكامل ، وهو مبني من ستة أجزاء :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن متفاعلن . متفاعلن .

قال النّاظم رَحِمَهُ اللهُ تعالى :

حكم المحبة ثابت الأركان ماللصدود بفسخ ذاك يدان

إني وقاضي الحس نفذ حكمها فلذا أقر بذلك الخصمان

وأتت شهود الوصل تشهد أنه حقاً جرى في مجلس الاحسان

فتأكد الحكم العزيز فلم تجد فسخ الوشاة اليه من سلطان

ولأجل ذا حكم العذول تداعت الـ أركان منه فخر للأذقان

وأتى الوشاة فصادفوا الحكم الذي حكموا به متيقن البطلان

---

(١) في الأصل : لاتبعدا ، والتصويب من سيرة ابن هشام » .

ماصادف الحكم المحل ولا هو اسـ تـوفى الشروط فصار ذا بطلان
فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسلوان
وحكى لك الحكم المحال ونقضه فاسمع إذاً يا من له أذنان
حكم الوشاة بغير ما برهان ان المحبة والصدود لدان
والله ما هـذا بحكم مقسط اين الغرام وصدذي هجران
شتان بين الحالتين فإن ترد جمعاً فما الضدان يجتمعـان

افتتح الناظم رحمه الله هذه المنظومة بشيء من النسيب ، وهو والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ، وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما وافقهن . وليس مما ذكر في شيء ، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ ، وقد نبـه على ذلك قدامة[1] وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

قوله : حكم المحبة ثابت الأركان ، ركن الشيء : جانبه الأقوى ؛ أي : ولثبوت أركانه وشدتها لايطيق الصدود فسخه .

قوله : إني وقاضي الحسن ؛ أي : كيف يقدر الصدود على فسخه وقد ثبت وتوطدت أركانه ، وذلك ان قاضي الحسن نفذ حكمها ؛ أي نفذ حكم المحبة . وفي بعض النسخ « نفذ حكمه » والمعنى واحد . وفي قوله . قاضي الحسن ، وهو الجمال : استعارة ، وذلك أنه شبه الحسن في قوتـه وسلطنته على المحبوب وقهره له بسلطنة القـاضي الحسي ، وقهره للخصوم ونفاذ حكمه ، فكذلك حسن هذه المحبوبة حكم على محبها بالمحبة[1] وفي قوله .

---

(١) هو قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، كاتب يضرب المثل في البلاغة

(٢) اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى شرح هذه الابيات التي افتتح ابن القيم بها النونية شرحاً إذا تأمله طالب العلم وجده غير مستقيم وبعيداً عن مقاصد ابن القيم ، وللعلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن شرح لأول هذا النظم ذكر فيه ان قاضي الحسن هو العقل ، لأن أهل السنة يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين ثم بنى شرحه على ذلك وهو شرح يقبله العقل ويليق بمقام الناظم رحم الله الجميع ، (ابن مانع)

حكم المحبة الخ . براعة الاستهلال ، وهو ان يكون الابتداء مناسباً للمقصود، لأن المنظومة المذكورة في المحاكمة بين الطوائف .

قوله : فلذا أقر بذلك الخصمان ؛ اي : لما حكم قاضي الحسن بالمحبة أقر الخصمان بها .

قوله : وأتت شهود الوصل الخ ؛ اي : لما حصل وصل هذه المحبوبة وشهدت به الشهود ؛ تأكد الحكم فلم يبق سبيل للوشاة إلى فسخه ، وهذا معنى قوله ، فتأكد الحكم العزيز .

وقوله : فسخ الوشاة هذا من الكلام المقلوب ، والمعنى : لم تجد الوشاة إلى فسخه من سلطان ، هذا إن كان لفظ تجد بالتاء ، وإن كان اللفظ يجد بالتحتيه ، فهو ظاهر ، وفسخ فاعل يجد ، وفسخ مضاف ، والوشاة مضاف إليه .

قوله : ولأجل ذا حكم العذول تداعت الأركان منه الخ ؛ اي : لما شهدت شهود الوصل بثبوت حكم المحبة ، خر حكم العذول وسقطت أركانه .

وقوله : وأتى الوشاة فصادفوا الخ ، اي : لما أتى الوشاة صادفوا حكمهم باطلاً ، وهو ما ذكره بقوله . حكم الوشاة الخ ؛ اي : حكم الوشاة أن المحبة والصدود لدان؛ اي : سواء ،وذلك حكم جائر ليس بمقسط واشار إلى ذلك بقوله : أين الغرام ، وهو شدة المحبة والصدود ؛ اي : ليسا بسواء .

قوله : فلذاك قاضي الحسن أثبت محضراً الخ.أي إن قاضي الحسن أثبت محضراً بفساد حكم الهجر والسلوان. والمحضر: السجل والمشهد، قاله في «القاموس» ؛ اي : لما حصل الوصال،حكم قاضي الحسن بفساد حكم الهجر والسلوان .

قوله : شتان بين الحالتين الخ . أي افترقت الحالتان ، وشتان بينهما .

قوله . الصدود . هو اسم مصدر ، صد يصد صدوداً . قال في « مختار الصحاح[1] » : صد يصد بضم الصاد صدوداً . أعرض عنه ، وصده عن الأمر . منعه وصرفه (عنه) ، من باب رد . انتهى .

قوله : يدان . المراد باليد هنا القدرة ، تسمية للشيء بسببه ، لأن القدرة هي تحرك اليد . يقال . فلان له يد في كذا وكذا ، ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ، والاخرى فارغة .

قوله : الوشاة . جمع واش . يقال : وشى كلامه ؛ أي : كذب ، ووشى به الى السلطان وشاية ، أي : سعى « مختار الصحاح » قال العيني : الوشاة جمع واش من وشى به يشي وشاية ، اذا نم عليه وسعى به ، فهو واش .

قوله : لدان . اللدة كعدة : الترب ، جمع لدات ، قاله في « القاموس » والترب بالكسر : اللدة والسن ومن ولد معك ، قاله في « القاموس » .

قوله : والله ما هذا بحكم مقسط . القسط بالكسر : العدل . تقول منه أقسط الرجل فهو مقسط ، ومنه قوله تعالى : (إن الله يحب المقسطين) الحجرات : ٩ ؛ أي : ما هذا بحكم عادل .

قوله : الغرام . الغرام : هو الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه ، بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه . ومنه سمي عذاب النار : غراماً للزومه لأهله وعدم مفارقته لهم . قال الله تعالى : (إن عذابها كان غراما) الفرقان : ٦٥

قوله : فما الضدان . الضدان هما اللذان لا يجتمعان ؛ وقد يرتفعان كالسواد والبياض[2] .

قال الناظم :

يا والهاً هانت عليه نفسه ... إذ باعها غبناً بكل هوان

أتبيع من تهواه نفسك طائعاً ... بالصد والتعذيب والهجران

---

(١) في الاصل « مختصر الصحاح » . وما أثبتناه هو الصواب ، وكذلك سيذكره المؤلف بعد قليل باسم الذي سماه به مؤلفه .

(٢) الضدان لا يجتمعان وقد يرتفعان كالخلاقين كالمثال الذي ذكره .

أجهلت أوصاف المبيع وقدره ... ام كنت ذا جهل بذي الأثمان

واهاً لقلب لا يفارق طيره الـ ... أغصان قائمة على الكثبان

ويظل يسجع فوقها ولغيره ... منها الثمار وكل قطف دان

ويبيت يبكي والمواصل ضاحك ... ويظل يشكو وهو ذو هجران

هذا ولو أن الجمال معلق ... بالنجم همّ اليه بالطيران

لله زائرة بليل لم تخف ... عسس الامير ومرصد السجان

قطعت بلاد الشام ثم تيممت ... من أرض طيبة مطلع الايمان

وأتت على وادي العقيق فجاوزت ... ميقاته حلاً بلا نكران

وأتت على وادي الأراك ولم يكن ... قصداً لها فألاً بأن ستراني

وأتت على عرفات ثم محسر ... ومنى فكم نحرته من قربان

وأتت على الجمرات ثم تيممت ... ذات الستور وربة الاركان

هذا وما طافت ولا استلمت ولا ... رمت الجمار ولا سعت لقران

ورقت على أعلى الصفا فتيممت ... داراً هنالك للمحب العاني

أترى الدليل أعارها أثوابه ... والريح أعطتها من الخفقان

والله لو أن الدليل مكانها ... ما كان ذلك منه في إمكان

هذا ولو سارت مسير الريح ما ... وصلت به ليلا الى نعمان

سارت وكان دليلها في سيرها ... سعد السعود وليس بالدبران

وردت جفار الدمع وهي غزيرة فلذاك ما احتاجت ورود الضان

وعلت على متن الهوى وتزودت ذكرى الحبيب ووصلة المتدان

قوله : واهاً هي كلمة يقولها المتعجب . قال الجوهري : اذا تعجبت من طيب الشيء قلت : واهاً له ، ما أطيبه ، وكذلك في التفجيع واهاً وواه أيضاً انتهى .

قوله : لايفارق طيره الاغصان . المراد بالاغصان : القدود ، كقوله :

أأغصان بان ماأرى أم شمائل

قوله : قائمة على الكثبان ، أي الأرداف ، لأن ذلك يسمى الكثيب والنقا (١) واعلم أن للشعر ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية ، وان كانت في الأصل مجازاً لكثرة دورانها في كلامهم ، وتعاطيهم استعمالاتها ، لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم ، فمن ذلك الغصن إذا أطلقوه فهموا منه القوام ، والكثيب ، إذا أطلقوه فهموا منه الردف ، والورد ، إذا اطلقوه فهموا منه الوجه ، والأقاح إذا أطلقوه فهموا منه الثغر ، والراح إذا أطلقوه فهموا منه الريق ، والنرجس إذا أطلقوه فهموا منه العيون ، وكذا السيف والسهم والسحر والبنفسج والريحان ، العذار ، كل هذه انتقلت عن وضعها الاصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح.

قوله : يسجع . قال في « مختار الصحاح » السجع : الكلام المقفى ، وجمعه أسجاع وأساجيع ، وقد سجع الرجل من باب قطع ، وسجع أيضاً تسجيعاً ، وكلام مسجع وأساجيع ، وسجعت الحمامة : هدرت ، وسجعت الناقة : مدت حنينها على جهة واحدة . انتهى .

---

(١) قوله الأرداف الى آخره ما أبرد هذا التفسير وابعده عن مقاصد ابن القيم وأي فائدة بذلك ، وبمطالعة ما كتبه الشيخ عبداللطيف يعرف مقصد ابن القيم (ابن مانع)

قوله: لله زائرة بليل الخ. قولهم: لله فلان. أصله: لله در فلان بفتح الدال، وهو اللبن، فيحتمل أنه كناية عن فعل الممدوح، أو يراد به لبن ارتضاعه، أي: ما أعجب هذا اللبن الذي نشأ به مثل هذا المولود الكامل في هذه الصفة، وعلى كل حال فاضافته لله للتعظيم، لأنه منشىء العجائب.

قوله: عسس الأمير. قال في «مختار الصحاح»: عس من باب رد: طاف بالليل، وعسساً أيضاً وهو نفض الليل عن أهل الريبة، فهو عاس، وقوم عسس كخادم وخدم، وطالب وطلب، وأعتّس، مثل عس. انتهى.

قوله: من أرض طيبة، هي المدينة المنورة.

قوله: وادي العقيق. قال الشيخ محمد طاهر الفتني في «مجمع البحار»: هو وادي من أودية المدينة، وورد أنه واد مبارك، ومنه أتاني آت بالعقيق، والآتي جبريل، وورد أن العقيق ميقات أهل العراق، وهو موضع قريب من ذات عرق، وهو اسم مواضع كثيرة، وكل موضع شققته من الارض فهو عقيق. انتهى. وفي «منسك شيخ الاسلام» أن ذا الحليفة يسمى وادي العقيق.

وأتت على وادي الأراك ولم يكن قصداً لها فألاً بأن ستراني

الأراك كالإرك بالكسر: شجر من الحمض يستاك به وإبل أراكية ترعاه، قاله في «القاموس» أي: إن هذه العروس أتت على وادي الاراك، وليس هو طريقاً لها؛ ولكن فعلت ذلك تفاؤلاً[1] بأن ترى محبها.

قوله: سارت وكان دليلها في سيرها الخ. قال العلامة العيني في «شرح الشواهد الكبرى» في شرح قول الشاعر:

---

(١) قوله فعلت ذلك تفاؤلاً، فيه نظر، فان التفاؤل ليس مقصوداً لها، ولكنها أتته من غير قصد له، فحصل التفاؤل.

إذا دبران منك يوماً لقيتـــه أؤمل أن ألقاك غدواً بأسعد

قال : دبران: علم على الكوكب الذي بدبر الثريا ،وهو خمسة كواكب في الثور . يقال انها سنامه . الى أن قال : والحاصل ان ذكر الدبران التي هي علم للكواكب الخمسة ، وكنى بها عن الإدبار الذي هو ضد الإقبال والسعد ، وذكر الأسعد التي هي سعود النجوم ، وكنى بها عن السعد الذي هو ضد النحس ؛ والمعنى اذا رأيت منك ادباراً يوماً - يعني شيئاً أكرهه - ؛ فلا أقطع رجائي منك ؛ ولكن أؤمل حصول خيرك من بعد ذلك ؛ بأن ألقاك في سعد وإقبال . انتهى . أي لأن هذه العروس جاءت من الشام ؛ وأجائي من الشام يتيمم جهة مطلع سعد السعود ، لأنه في جهة الجنوب ، ولو استدل بالدبران لما اهتدى . ويحتمل أن مراد الناظم التفاؤل باسم سعد السعود (١) ، لأن النبي ﷺ « كان يعجبه الفأل»(٢) وكان يقول: «إذا بعثتم إلي بريداً فابعثوه حسن الاسم حسن الوجه » (٣) او كما قال . قال الناظم رحمه الله تعالى :

وعدت بزورتها فأوفت بالذي وعدت وكان بملتقى الأجفان

لم يفجأ المشتاق الا وهي دا خلة الستور بغير ما استئذان

قالت وقد كشفت نقاب الحسن ما بالصبر لي عن ان أراك يدان

فتحدثت عندي حديثاً خلته صدقاً وقد كذبت به العينـان

فعجبت منه وقلت من فرحي به طمعاً ولكن المنـــام دهاني

ان كنت كاذبة الذي حدثتني فعليك إثم الكاذب الفتـان

جهم بن صفوان وشيعته الالى جحدوا صفات الخالق الديـان

(١) الذي ذكره العلماء أن الفأل لا يقصد . (ابن مانع)

(٢) أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ، والحاكم عن عائشة بلفظ : « كان يعجبه الفأل الحسن » وقد حسن الحافظ ابن حجر في « الفتح» اسناده. وروى الشيخان : «لاطيرة وخيرها الفأل . قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

(٣) أورده الحافظ السيوطي في « الجامع الصغير » ورمز له بالضعف .

قوله : وعدت بزورتها فأوفت بالذي الخ ؛ أي : أنها وعدت بالزيارة فأوفت بها في المنام ، ولهذا قال : وكان يلتقى الاجفان . وكما قال قبل ذلك : لله زائرة بليل . قوله : نقاب. قال في « القاموس » بالكسر: الرجل العلامة[1] ، وما تنتقب به المرآة والطريق في الغلظ. قوله : إن كنت كاذبة الذي حدثتني الخ .. هذا يسمى حسن التخلص عند أهل البديع . قوله : جهم ابن صفوان . هو على ما قال الذهبي في «الميزان» : جهم بن صفوان ابو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيما . وقال البخاري في « رسالة خلق أفعال العباد » حدثني أبو جعفر قال حدثني يحيى بن أيوب ، قال : سمعت أبا نعيم البلخي ، قال : كان رجل من أهل مرو ، صديقاً لجهم ، ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : احتملت منه ما لا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا ، أنسيها يحيى . فقال : ما كان أظرف محمداً ، فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (طه) فلما قال : (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ . قال : أما والله لو وجدت سبيلاً الى حكها لحككتها من المصاحف ؛ فاحتملتها ؛ ثم قرأ سورة (القصص) فلما انتهى الى ذكر موسى قال : ما هنا ذكر قصته في موضع ؛ فلم يتمها ؛ ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه ، فوثبت عليه حدثني أبو جعفر ، قال : سمعت يحي بن أيوب ، قال : كنا ذات يوم عند مروان بن معاوية الفزاري ، فسأله رجل عن حديث الرؤية ، فلم يحدث به قال : ان لم تحدثني به فأنت جهمي . فقال مروان : تقول لي جهمي ، وجهم مكث اربعين يوماً لا يعرف ربه وقال البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » : بلغني أن جهماً كان يأخذ من الجعد بن درهم ، وكان خالد القسري أمير العراق خطب ، فقال : إني مضح بالجعد بن درهم ، لأنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ، ولم يكلم

(١) في الاصل : الرجل والعلامة، وهو خطأ التصويب من« القاموس » .

موسى تكليما . ونقل البخاري عن محمد بن مقاتل قال : قال عبد الله ابن المبارك :

ولا أقول بقول الجهم إن له قولاً يضارع أهل الشرك أحياناً

وعن عبد الله بن شوذب قال : ترك الجهم الصلاة اربعين يوماً على وجه الشك. وذكر الطبري في «تاريخه» في حوادث سنة ثمان[1] وعشرين (بعد المائة) أن الحارث بن سريج خرج على نصر بن سيار عامل خراسان لبني امية ، وحاربه ، والحارث حينئذ يدعو الى العمل بالكتاب والسنة ، وكان جهم حينئذ كاتبه ، ثم تراسلا بالصلح ، وتراضيا بحكم مقاتل بن حيان والجهم ، فاتفقا على أن الأمر يكون شورى حتى يتراضى أهل خراسان على أمير يحكم بينهم بالعدل فلم يقبل نصر ذلك ، واستمر على محاربة الحارث إلى أن قتل الحارث في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) في خلافة مروان الحمار. فيقال : ان الجهم قتل في المعركة ومقاتل أسر ؛ فأمر نصر بن سيار سالم بن أحوز بقتله ؛ فادعى جهم الأمان فقال له سالم : لو كنت في بطني لشققته حتى أقتلك ؛ فقتله .

وأخرج ابن ابي حاتم من طريق محمد بن صالح مولى بني هاشم قال : قال سالم حين أخذه : يا جهم اني لست اقتلك لأنك قاتلتني ؛ أنت عندي أحقر من ذلك ؛ ولكني سمعتك تكلم بكلام ، أعطيت الله عهداً أن لا أملكك إلا قتلتك ؛ فقتله . ومن طريق معتمر بن سليمان عن خلاد الطفاوي ؛ بلغ سالم ابن أحوز وكان على شرطة خراسان أن جهم بن صفوان ينكر ان الله كلم موسى تكليما ؛ فقتله . ومن طريق بكر بن معروف قال : رأيت سالم بن أحوز حين ضرب عنق جهم ؛ فاسود وجه جهم .

وأسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب « السنة » له أن قتل جهم كان في سنة اثنتين وثلاثين ومائة والمعتمد ما ذكره الطبري أنه كان في سنة ثمان وعشرين (بعد المائة) .

---

(١) في الاصل : تسع ، وهو خطأ ، والتصويب من « تاريخ الطبري » .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق صالح بن احمد بن حنبل قال : قرأت كتاب داود بن هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية ؛ فان ظفرت به فاقتله .

وقد ذكر الامام احمد رحمه الله بعض حال الجهم ؛ كما سيأتي في شرح قول الناظم . ولذلك لم يقر الجهم بالأرواح خارجة عن الأبدان .

وقال علي بن الحسن : سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهمية في غير موضع من : كتاب الله قولهم : إن الجنة تفنى . وقال الله تعالى : (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) ص : ٥٤ فمن قال : انها تنفد فقد كفر . وقال (لا مقطوعة ولا ممنوعة) الواقعة : ٣٣ فمن قال : انها تنقطع فقد كفر . وقال بلغوا الجهمية أنهم كفار ؛ وأن نساءهم طوالق .

وقال زهير البابي[1] : سمعت سلام ابن أبي مطيع يقول : الجهمية كفار . وقال وكيع : أحدثوا هؤلاء المرجئة الجهمية والجهمية كفار .

وقال ابن الأسود : سمعت ابن مهدي يقول ليحيى بن سعيد : لو أن جهمياً بيني وبينه قرابة مااستحللت من ميراثه شيئاً .

وقال يزيد بن هارون : الجهمي أضر من مائتي شيطان . قال أبو عبد الله : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى . ولا يسلم عليهم ؛ ولا يعادون ؛ ولا يناكحون ؛ ولا يشهدون ؛ ولا تؤكل ذبائحهم . وسئل وكيع عن مثنى الأنماطي فقال : كافر . وقال عبد الله بن داود لو كان لي على المثنى الانماطي سبيل لنزعت لسانه من قفاه ؛ وكان جهميا .

وحذر يزيد بن هارون من الجهمية وقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العباد فهو جهمي . وقال ضمرة بن ربيعة عن صدورة ؟ سمعت سليمان التيمي يقول : لو سئلت عن الله لقلت في السماء . فإن قال فأين عرشه قبل السماء ؟ لقلت : على الماء . فإن قال : فأين

---

(١) في الاصل : السخياني وهو خطأ . والتصويب من « كتاب »« الرد على الجهمية ».

كان عرشه قبل الماء ؟ قلت : لا اعلم . قال أبو عبدالله : وذلك لقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) البقرة : ٢٥٥ يعني : إلا بما بين . وقال محمد بن يوسف : من قال : ان الله ليس على عرشه فهو كافر ، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر . وقيل لمحمد بن يوسف : ادركت الناس ، فهل سمعت أحداً يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : الشيطان تكلم بهذا ؛ ومن تكلم في هذا والجهمي كافر . وقال ابن المبارك : لا نقول كما قال الجهمية : ان الله في الأرض ههنا . بل على العرش استوى وقيل له كيف نعرف ربنا ؟ قال : فوق سماواته على عرشه . وقال لرجل منهم : أبطنك خال منه ؟ فبهت الآخر . وقال سعيد بن عامر : الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى ؛ قد اجمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على ان الله على العرش وقالوا هم ؛ ليس على العرش . وقال حماد بن زيد القرآن ، كلام الله ؛ نزل به جبريل ، ما يحاولون الا انه ليس في السماء إله . وقال علي : ان الذين قالوا ان لله ولداً أكفر من الذين قالوا إن الله لايتكلم[1] . وقال : احذر من المريسي واصحابه ؛ فان كلامهم اشتمل على الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم جهماً فلم يثبت لي أن في السماء إلهاً وقال الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي : انا أكفر برب يزول عن مكانه . فقل : انا أؤمن برب يفعل مايشاء . وحدثني ابو جعفر ، قال . سمعت الحسن بن موسى الأشيب فنال منهم ، ثم قال : دخل رأس من رؤساء الزنادقة يقال له : شمعلة على المهدى فقال : دلني على اصحابك . فقال أصحابي اكثر من ذلك . فقال : دلني عليهم ، فقال : صنفان ممن ينتحل القبلة : الجهمية والقدرية . الجهمي اذا غلا قال ليس ثم شيء ، وأشار الأشيب الى السماء ، والقدري إذا غلا قال : هما اثنان ؛ خالق خير وخالق شر . فضرب عنقه وصلبه . قال وكيع : الرافضة شر من القدرية ، والحرورية شر منهما ؛ والجهمية شر هذه الأصناف ، قال الله : (وكلم الله موسى تكليما) النساء : ١٦٤ .

---

(١) لعل صواب الجملة : إن الذين قالوا إن الله لايتكلم أكفر من الذين قالوا إن لله ولداً . وإلا كان لهذا الكلام معنى هنا .

ويقولون : لم يتكلم . ويقولون : الايمان بالقلب : قال ابن عباس : لما كلم الله موسى كان النداء من السماء ، وكان الله في السماء وقال عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله على عرشه فوق سمواته ، وسمواته فوق ارضه مثل القبة . وقال ابن مسعود في قوله : ثم استوى على العرش . قال : العرش على الماء ، والله فوق العرش ، وهو يعلم ما انتم عليه . وقال قتادة في قوله : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله قال : يعبد في السماء ، ويعبد في الأرض . وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة ، لأنهم سبهوا ربهم بالصمم والأصم والأبكم الذي لايسمع ولا يبصر انتهى . ملتقط من مواضع . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية الخ ماذكره في الحموية : (ثم أصل هذه المقالة إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال)[1] الصابئين ، فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه . وقيل : ان الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ؛ واخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي ؛ وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل من أهل حران ، وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا اهل دين النمرود والكنعانيين الذين صنف بعض المتاخرين في سحرهم . وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران . وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته ، وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام احمد وغيره لما ناظر السمنية (عن) بعض فلاسفة الهند ، وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات ؛ فهذه أسانيد جهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين ، والفلاسفة الضالين ، إما عن الصابئين ؛ وإما من المشركين انتهى والمقصود

« ١ » مابين القوسين سقط في الأصل . واستدركناه من العقيدة الحموية الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

الكلام على قول الناظم رحمه الله تعالى جهم :بن صفوان وشيعته الألى ، والألى اسم موصول بمعنى الذين جحدوا صفات الخالق الديان. المعنى ان جهماً وشيعته جحدوا صفات الباريء سبحانه وتعالى عن قولهم ، والجهم هو أعظم الناس نفياً للصفات ، بل وللأسماء الحسنى، قوله من جنس قول الباطنية القرامطة ، حتى ذكروا عنه أنه لا يسمي الله شيئاً ، ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمى بها المخلوق ؛ لأن ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع ، وهذا قول القرامطة الباطنية . وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادراً فاعلاً لأن العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل ؛ إذ كان هو رأس المجبرة.

قال الناظم رحمه الله :

بل عطلوا منه السموات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن

ونفوا كلام الرب جل جلاله ... وقضوا له بالخلق والحدثان

قالوا وليس لربنا سمع ولا ... بصر ولا وجه فكيف يدان

وكذاك ليس لربنا من قدرة ... وإرادة أو رحمة وحنان

كلا ولا وصف يقوم به سوى ... ذاتٍ مجردة بغير معان

وحياته هي نفسه وكلامه ... هو غيره فاعجب لذا البهتان

وكذاك قالوا ماله من خلقه ... أحد يكون خليله النفسان

وخليله المحتاج عندهم ، وفي ... ذا الوصف يدخل عابدو الاوثان

فالكل مفتقر اليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عان

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان

إذ قال ابراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الدان

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

قوله : وكلامه هو غيره . أي : ان كلامه مخلوق من جملة المخلوقات. لأن كلامه غيره ، وما كان غيره فهو مخلوق . قوله : وكذلك قالوا ماله من خلقه أحد الخ ؛ أي : ان الجهمية ينكرون الخلة والمحبة ؛ وإنما يثبتون الخلة بمعنى الفقر والحاجة ؛ فهم ينكرون أن الله سبحانه يحب أو يحب ؛ أي . فكل فقير لله ؛ فهو خليله بهذا المعنى ؛ ولهذا ألزمهم الناظم بهذا الالزام ؛ أي : ان الناس كلهم فقراء الى الله تعالى ؛ كما قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية فاطر : ١٥ . فيلزم على قول الجهمية أن جميع الخلق أخلاء الله ، حتى عابدو الأوثان والأصنام . قوله : كلا ولا وصف يقوم به الخ ؛ أي : ان الباري تعالى وتقدس عندهم لايوصف الا بأنه الوجود المطلق ، والوجود المطلق إنما يكون في الأذهان لا في الأعيان. قوله : وحياته هي نفسه ؛ أي : ان الصفات ترجع إلى مجرد الذات المقدسة ؛ فهذا حال الجهمية الأولين ؛ وهم الجهمية الذكور ؛ وأما الجهمية المتأخرون الذين سماهم شيخ الاسلام أبو اسماعيل الأنصاري صاحب «منازل السائرين» الجهمية الاناث ؛ فقد قال شيخ الاسلام المذكور في كتابه «ذم الكلام» باب في ذكر كلام الأشعرية . ولما نظر المبرزون من علماء هذه الامة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية ، وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم تقف منهم الا على التعطيل البحت ؛ وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقيدتهم ما صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم ، أن الفلك دوار ؛ والسماء خالية ؛ وأن قولهم : انه تعالى في كل موضع ؛ وفي كل شيء ما استثنوا جوف كلب ؛ ولا خنزير ؛ ولا حشاً فرار من الاثبات ؛ وذهاب عن التحقيق .